مجلة تراث الزيبان المجلد 06/ العدد 2021/01م/ ص ص. 96-113.
E-ISSN: 3088-7763 ISSN: 2716-8468

المظهر الريفي القديم بالحضنة الغربية (منطقة المسيلة)
نتائج التحريات الأولية

The Ancient Rural Landscape in the Western Hodna (M'sila Area): Preliminary Survey Results

د./ حنان خربوش

كلية العلوم الانسانية والاجتماعية/جامعة قسنطينة 02.

البريد الالكتروني: hanane.kherbouche@univ-constantine2.dz

أ.د./ سعاد سليماني

كلية العلوم الانسانية والاجتماعية / جامعة قسنطينة 02.

البريد الالكتروني: souad.slimani@univ-constantine2.dz

الملخص:

يحتل إقليم ولاية المسيلة حيزا جغرافيا هاما بالحضنة الغربية، هذه التي شهدت في الفترات القديمة المتأخرة منها خاصة نقلة اقتصادية هامة، نلمسها جليا من خلال البقايا الأثرية ذات الطابع الاقتصادي المنتشرة عبر العديد من المراكز الحيوية. وكانت هذه الأخيرة عبارة عن مدن ومراكز ريفية هامة شكلت مؤسسات اقتصادية تشهد عليها بقايا العديد من الأثار المتمثلة خاصة في بقايا الضيعات والمنشآت المائية والمنشآت الحرفية المختلفة ومنشآت التخزين، وكذا التجمعات السكنية التي يتجسد فيها جليا المظهر الريفي القديم بالحضنة. كما نشير أن ما سنقدمه هنا هو نتيجة أولية للتحريات الميدانية التي قمنا بها بالمنطقة.

الكلمات المفتاحية: المسيلة، الحضنة، زجاج، فخار، ضيعات.

Résumé :

La wilaya de M'sila occupe une zone géographique importante dans la région occidentale du Hodna, qui a connu un changement économique majeur au cours de l'Antiquité tardive, comme en témoignent les vestiges archéologiques économiques trouvés dans de nombreux centres vitaux du Hodna. Il s'agissait de villes importantes et de centres ruraux qui formaient ou abritaient des institutions économiques, comme en témoignent les vestiges de fermes, d'installations hydrauliques, d'établissements artisanaux divers, d'entrepôts et aussi d'agglomérations dans lesquelles l'aspect rural ancien du Hodna est très bien incarné. Nous tenons également à préciser que ce que nous présentons ici n'est qu'un résultat préliminaire des prospections effectuées sur un certain nombre de sites.

Mots clés : M'sila, Hodna, verre, Céramique, fermes.

مقدمة:

نقدم في هذه الورقة المظهر الريفي لجزء هام من بلاد الحضنة الذي وقفنا عليه جليا من خلال النتائج الأولية للتحريات الميدانية التي أجريناها عبر العديد من المراكز الريفية القديمة المنتشرة بالجزء الغربي من الحضنة (ولاية المسيلة حاليا) (**الخريطة 01**).



الخريطة 01: حدود ولاية المسيلة مطابقة على خريطة الطرق القديمة لبيار سلامة. عن: SALAMA, P., 1951, ht. بتصرف الباحثتين.

يتجلى من خلال البقايا الأثرية مؤشرات لمنشآت ريفية متنوعة، تشكل جملتها تلك المؤسسة الاقتصادية المتكاملة، والتي لا ريب أنها ساهمت في تدعيم الحركية الاقتصادية خلال الفترات القديمة، ولا سيما المرحلة المتأخرة منها.

في الواقع، لم يكن بالأمر الهين تحديد وظائف العديد من بقايا تلك المنشآت، ليس فقط لأن معظم موادها استغلت في المباني الحديثة المجاورة للمواقع، بل حتى تلك البعيدة عن التوسع العمراني، التي لا تزال أثارها تحت الأرض، فلم يبق سوى عناصر معمارية هامة فيها من جهة، وأجزاء من المعاصر والمطاحن والورشات الحرفية الخاصة بصناعة الفخار والزجاج من جهة اخرى.

كما بدت لنا النماذج التي سندرجها في ورقتنا هذه، من المناطق التي تستدعي الوقوف عليها باهتمام أكثر، لأنها في رأينا قد تكون من المستقرات الريفية للسكان المحليين، الذين لم يكونوا على هامش من الأوضاع السياسية والاقتصادية لمنطقة الحضنة في الفترات القديمة، فطبيعتها لا يقوى على تحديها إلا ابن الحضنة.

I. أهم المراكز الريفية:

1. خربة الرصاص (الصورة الجوية 01):

يقع هذا المركز على بعد 16كلم جنوب-شرق اثار مدينة زابي التي تعد أهم موقع بالمسيلة من جهة، وعلى بعد 2.5كلم شمال-شرق دوار بير عنات الواقع شمال شط الحضنة بالمسيلة حاليا، وبالتحديد عند النقطة E "35°33'23.71 N "4°39'36.50 وعلى ارتفاع 406م على مستوى سطح البحر.



الصورة الجوية 01: تمثل موقع خربة الرصاص واهم التلال الأثرية الموجودة به. عن: قوقل ايرث 2020م.

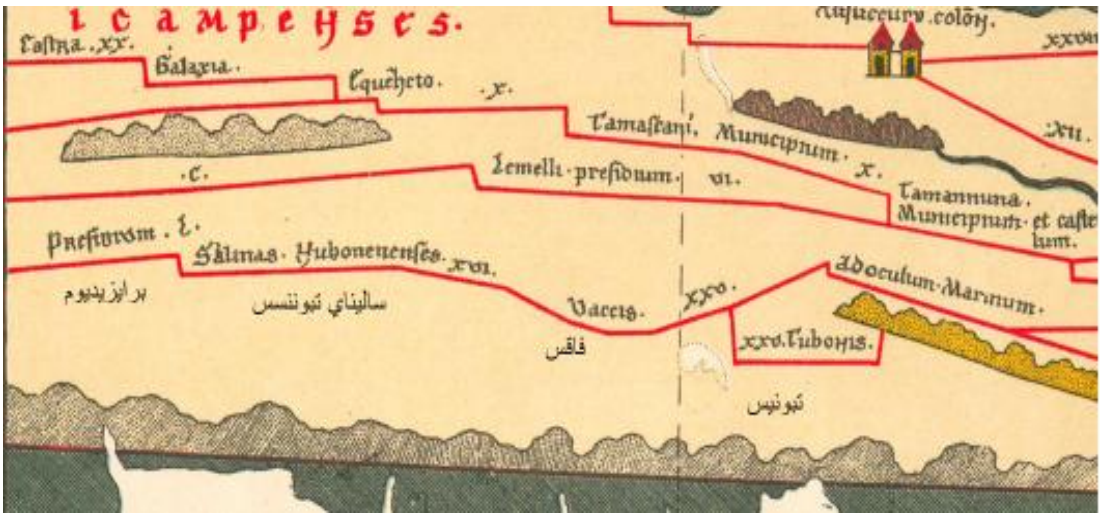
ذكرت أثار هذا الموقع تحت رقم 91 في الخريطة رقم 25 (الخاصة بالمسيلة) من الأطلس الأثري للجزائر. يأتي في ذات المرجع، أن به أثار رومانية تغطي مساحة تقدر بحوالي أربعة 04 هكتارات، وتمثلت هذه الأخيرة في بقايا كنيسة مسيحية، وأجزاء أعمدة ومطاحن وأحواض صغيرة مصنوعة من مادة الجص (**الصورة 01**)، وبقايا عتبات، بالإضافة إلى العديد من الشقف الفخارية[1].



الصورة 01: تمثل بقايا أحواض مائية بخربة الرصاص. عن: سليماني، سعاد؛ خربوش، حنان.

[1]- GSELL, S., 1911, Fn° 25, n° 91.

يتجلى من خلال لوحة بوتنقر (Table de Peutinger) التي تجسد خريطة الطرق الرومانية القديمة والتي تظهر عليها أهم المحطات والمدن القديمة، أن خربة الرصاص تظهر على الطريق الرابط بين الموقع القديم فاقيس (Vaccis) والموقع المعروف بـبرايزيديوم (Praesidium)[2]، المفترض وجوده في الأول ببرج القايد بمنطقة واد الشعير جنوب شط الحضنة، بينما هو من المراكز العسكرية المحدد على هذه اللوحة على بعد حولي 80 كلم (50 ميل) من سالياناي طوبوننسيس (Salinae Tubunenses) المعروف بشط الحضنة حاليا، أي بالجزء الشمالي لمقاطعة نوميديا[3] (**الصورة 02**).



الصورة 02: تمثل مقطع 01 من لوحة بوتنقر. بتصرف الباحثتين.

زيادة على ذلك، فهي من المدن الهامة التي يرى البعض[4]، أنها دمرت إما من طرف قبائل الجيتول قبل مجيء الوندال، أم مباشرة عند بدايات زحفهم للمنطقة. رغم أهميتها، لا توجد شواهد وكتابات تمدنا بالاسم القديم لخربة الرصاص[5]، في حين رجحها البعض أنها هي نفسها المنطقة المذكورة تحت اسم Ad Salinae nebunonenses أو Ad Salinas tubunonenses[6] المدرجة في مسار أنطونين[7]. كما ننوه بأن هذه الأخيرة، لم يرد ذكرها في القوائم الأسقفية لمقاطعة زابي بموريطانيا السطايفية[8].

مع أنها تبدو حاليا أرض جرداء قاحلة، إلا أنها كانت في الماضي تحظى بالسقي المنتظم لتنتج أجود أنواع الحبوب، كيف لا وهي التي اشتهرت بمنتوج قطنها الممتاز كما ونوعا، فتذكر الوثائق أنه أجريت تجربة زراعة المادة بها بين عام 1857م إلى 1860م ففاقت النتيجة كل التوقعات بحيث أنتج قطن

---

[2]- PAYEN, ..., 1893, p. 145.
[3]- TOULOTTE, M., 1894, p. 248.
[4]- PAYEN, ..., 1893, p. 145.
[5]- سليماني، سعاد؛ خربوش، حنان، 2021م، ص ص. 17-18.
[6]- GRANGE, R., 1901, p. 60.
[7]- PAYEN, ..., 1893, p. 146.
[8]- PAYEN, ..., 1893, p. 145.

نافست نوعيته الرفيعة قطن مدينة جيورجيا الشهير[9]. أما في الفترات القديمة، اعتبرت خربة الرصاص كأهم مركز زراعي بالمنطقة كلها[10]، لأنها لا طال ما عدت كمنطقة زراعية عالية خصوبتها[11].

انطلاقا من التحريات الميدانية التي قمنا بها بالموقع، لاحظنا أن آثارها تمتد على مساحة تفوق 20 هكتار، ولم يبق منها إلا مجموعة من التلال التي تحوي بقايا أثرية متنوعة؛ وجدنا بها العديد من الفخار على السطح، ومنه حتى الذي يعود إلى الفترة الإسلامية لا سيما الفترة الحمادية، كما تنتصب مجموعة تلال من الردم امتزجت فيها بقايا عناصر معمارية مختلفة منها قواعد الأعمدة والحجارة الضخمة المصقولة، وكذا بعض الأساسات التي قد تكون بقايا مقرات للإقامة أو مجموعة من الضيعات.

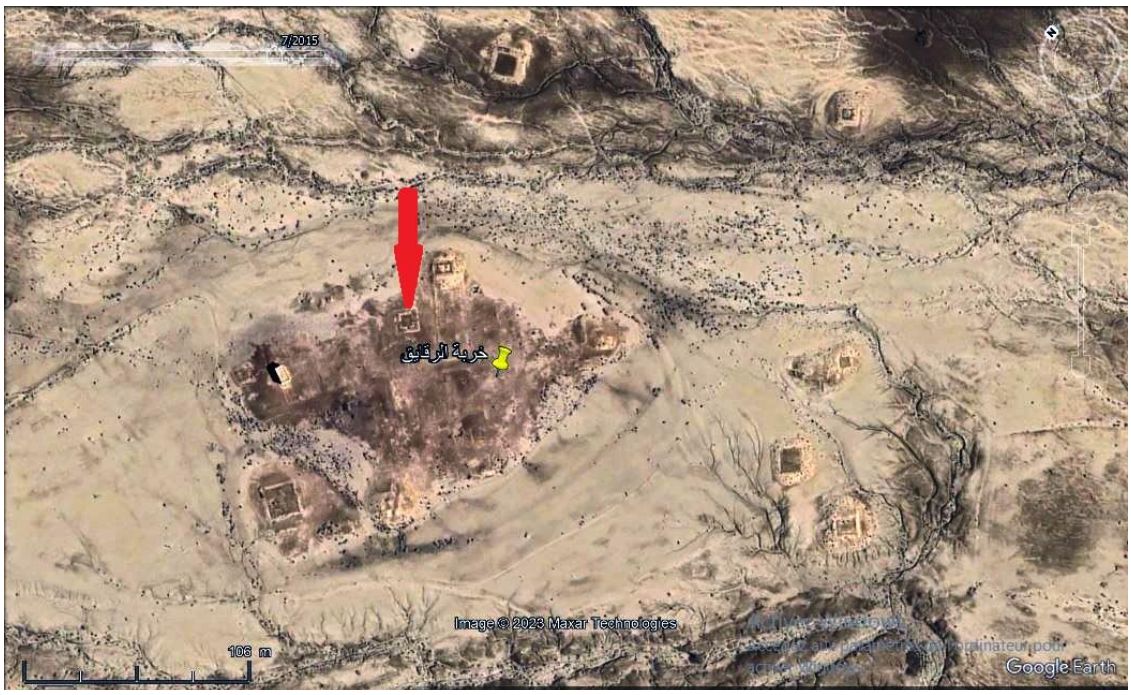
احتوت من جهة أخرى على بقايا منشآت تحويلية كالمعاصر والمطاحن، إذ تنتشر العديد من أجزاء مكوناتهما مثل مضادات الثقل التابعة للمعاصر وعدد من الأجزاء السفلية والعلوية لمطاحن الحبوب الضخمة، وحتى أجزاء من المطاحن اليدوية الصغيرة.

ولعل انتشار عجينة الفخار وبعض من عجينة الحديد بها، يعد مؤشرا دالا على وجود ورشات حرفية و أفران خاصة بالفخار. وقد تجتمع هذه المعطيات مع إضافة جزء من قناة ناقلة للمياه لتأكيد أهميتها من الجانب الفلاحي، كما تدلنا أكثر بعض القطع الزجاجية الرفيعة المتناثرة هنا وهناك على المكانة الاقتصادية التي احتلتها هذه المنطقة في الفترات القديمة.

2. موقع الرقايق (<u>الصورة الجوية 02</u>):

وهو من المواقع الجديدة التي اكتشفناها سنة 2011م ببلدية خطوطي سد الجير، يقع على أرض سهلية تمتد على الضفة الغربية لواد اللحم بالجهة الجنوبية الغربة لمقر بلدية المسيلة، و تحديدا على بعد 6 كلم من الضفة الغربية للطريق الرابط بين مسيلة والشلال، وتحديدا عند النقطة N 35°34’29.04 E 4°19’56.34 .

[9]- PAYEN, ..., 1893, p. 146.
[10]- GSELL, S., 1902, pp. 75-76.
[11]- TOULOTTE, M., 1894, p. 248.



الصورة الجوية 02: تمثل موقع الرقايق واهم التلال الاثرية الموجودة به. عن: قوقل ايرث 2015م.

تحتوي خطوطي سد الجير على موقعين آخرين يتمثلان في منشآت جنائزية من نوع البازينا ذات السلم (basina à gradin)[12]، جاء ذكرهما في الخريطة رقم 25 تحت رقمي 19 و58، ينبسط على مساحة هامة من الأراضي الفلاحية، ويشكل تجمع أساسات المباني الموجودة به أكثر من 16 هكتار، غير أننا لم نتمكن من مسحها كليا، أما البقايا التي عايناها، تنتشر على مسافة حوالي 4كلم.

يبدو من البقايا المبهمة، أن هذا التجمع أو هذه القرية القديمة كانت مبنية بمادة الطوب، وهذا ما تؤكده أساسات الفضاءات المتبقية، وحتى أن أثار المواد الحجرية تكاد تنعدم، مع العلم أننا لسنا بالبعيد عن المكان المعروف بذراع الصنم، الذي وجدت به بقايا منشآت جنائزية[13]، والذي يحتوي على محجرة[14]، التي كانت مستغلة من المرجح منذ القدم.

تمثلت بقايا هذا الموقع في مجموعة من التلال الصغيرة المشكلة من بقايا ردم لمباني طوبية مربعة ومستطيلة شكل معظمها.

لا شك أن أراضي هذا الموقع، تعد ضمن السهول التي تتغذى من السيول المتدفقة من المنحدرات التلية التي تصب إليها، وقد يؤهلها أن تكون من المراكز الفلاحية الهامة أيضا، فهي الأخرى احتوت على ضيعات هامة وأراضي زراعية خصبة لما يصب فيها من طمي.

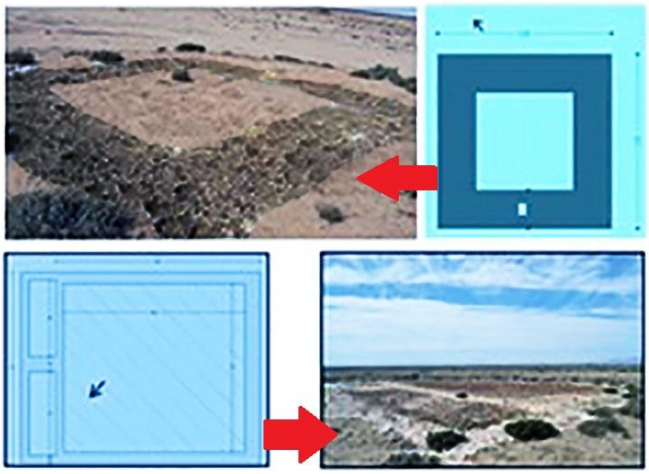
---

[12]- GSELL, S., 1911, fn 25, n°19, n°58. ; CAGNAT, R.,1901, p. CXXXVIII.

[13]- GSELL, S., 1911, fn 25, n°27.

[14]- مكتوب على الخريطة الأثرية رقم 25 بالأطلس الأثري، بالقرب من موقع كدية الصنم الذي تحمل رقم 27.

جاءت تلك الآثار على شكل مجموعة من التلال الصغيرة المشكلة من بقايا ردم لمباني طوبية أساساتها مربعة ومستطيلة أشكالها، قد تكون مقرات للإقامة (**الصورة 02**) وأخرى للتخزين، ثم تنتشر بها القطع الفخارية وبقايا عجينته الكثيرة التي قد تكون مؤشرا جليا لوجود ورشة فخار وفرن حتى، وليس بالبعيد عن هذه التلال، نرى من خلال صورة ساتليتية عبر محرك البحث google earth بشكل أفضل إحدى التقنيات الممارسة في سقاية الأراضي المعروفة بتقنية الفيض محليا (Irrigation par inondation)؛ إذ نجد قطع أراضي مقسمة على شكل أحواض سطحية مربعة، كما مكنتنا صورة جوية لسنة 1957م، ملاحظة جزء من تقسيمات ترابية (parcellaires) قد تبدو قديمة، على عكس العديد من المواقع التي وقفنا عليها، مما يرجحه أن يكون مركزا فلاحيا، مارس سكانه عملية الزرع والحصاد وجني المحصول وتخزينه أو تسويقه ؟



الصورة 02: تمثل بقايا أساسات منشآت سكنية مبنية بالطوب بـموقع الرقايق. عن: سليماني، سعاد؛ خربوش، حنان.

ومن أهم ما عثرنا عليه بهذا الموقع، هو بقايا أسس لفضاء مربع صغير، يذكرنا بالمعابد ذات المخطط المركزي المعروفة بنوع الفانا fana[15]، التي اختلف المختصون في تحديد تاريخ ظهورها من جهة، وفي أصولها من جهة أخرى[16] (**الصورة 03**).



الصورة 03: بقايا قد تشير إلى معبد من نوع الفانوم (Fanum). عن: سليماني، سعاد؛ خربوش، حنان.

3. خربة الجساسية:

يقع هذا المركز على بعد 17كم شمال-شرق موقع الرقايق، ونذكر أن الباحث "بايان" رشح هذا الموقع لأن يكون مدينة فاقيس "Vaccis" المذكورة في خريطة "بوتنقر"، والتي كانت تحتل مساحة

15- CARPENTIER, L., 2015. ; FAUDUET, I., 2010.
16- DAREMBERG, C.V. ; SAGLIO, E.

100هكتار. كان يعبرها الطريق الروماني الرابط بين زابي وأراس (تارمونت)[17]. وأول قراءة نستنتجها لهذا الموقع، هو التشابه بينه وبين موقع الرقايق؛ حيث نجد مجموعة من التلال يظهر عليها أساسات لفضاءات مربعة ومستطيلة شكلها على نفس نمط تلال موقع الرقايق، في حين يكمن الفرق في مادة البناء إذ هنا استعملت الحجارة عوضا عن مادة اللبن.



الصورة الجوية 03: تمثل بقايا تقسيمات قديمة بالجساسية. عن: ارشيف برادیز.

تنتشر بالموقع البقايا الفخارية، وعثرنا على بقايا فرن كبير تنتشر حوله بقايا الجرار الضخمة، ومنها ما تحمل على سطحها زخارف من نوع Grafitti. وجدنا على خلاف موقع الرقايق العديد من أجزاء لمعاصر الزيتون، وبقايا سفلية لمطاحن الحبوب الكبيرة.

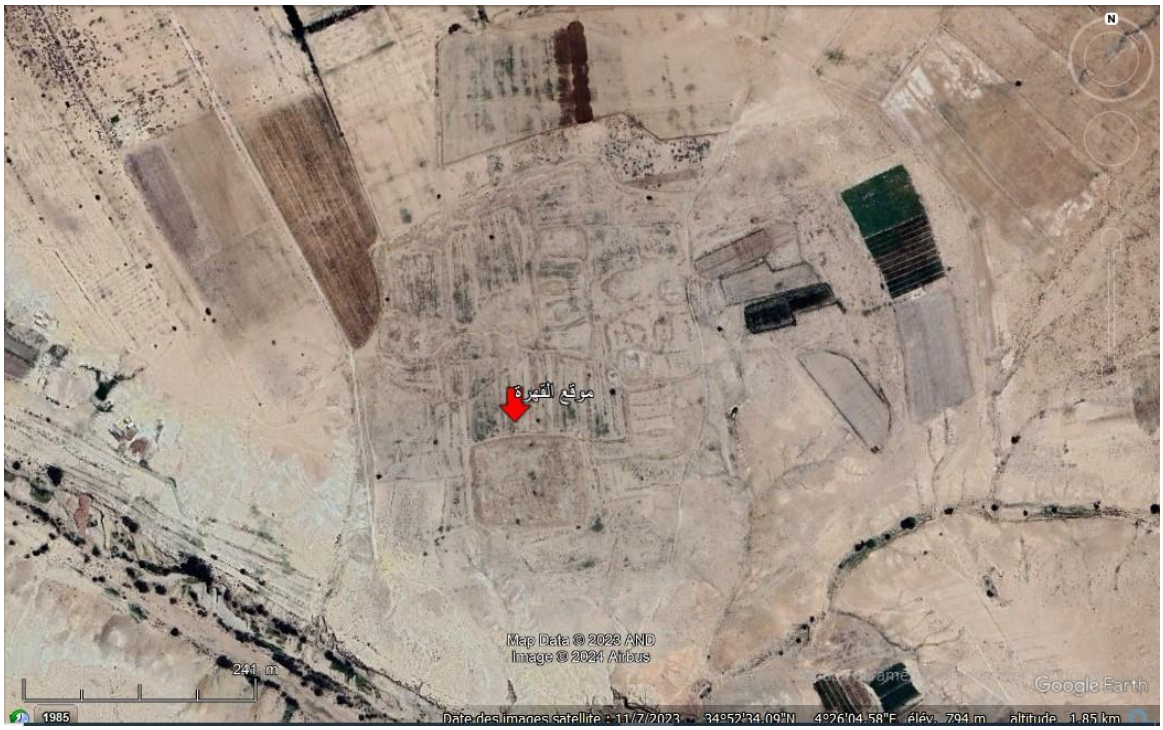
استعملت نفس تقنية الري المستعملة في موقع الرقايق المذكورة أعلاه؛ وهذا النموذج من السقاية تطرق له الباحث "برادیز" في الفصل الثالث[18] من عمله، وأعطى أمثلة بالمواقع الموجودة على ليمس نوميديا لاسيما منها موقع "سبع مقاطع" بالقنطرة، وسيدي عقبة ببسكرة[19]، والذي نرى أنه يشبه إلى حد كبير النموذج الموجود بالرقايق.

استطعنا من خلال الصورة الساتليتية عبر محرك البحث google earth، تتبع نموذج لتقسيمات ترابية قديمة (**الصورة الجوية 03**) تشبه تلك التي وقف عليها "برادیز" بمنطقة القهرة.

17- PAYEN, ..., 1864, p. 09.
18- BARADEZ, J., 1949, p. 191.
19- BARADEZ, J., 1949, p. 193.

4. القهرة[20] (الصورة الجوية 04):

تقع خربة القهرة ببلدية محمد بوضياف (واد الشعير سابقا) على بعد 140كم جنوب ولاية المسيلة و45كم غرب موقع بئر سدوري Ausum[21]، وتحديدا عند النقطة 4°26'1.85"E 34°52'32.20"N على ارتفاع 794م عن سطح البحر.



الصورة الجوية 04: تمثل موقع القهرة. عن: قوقل ايرث 2023م.

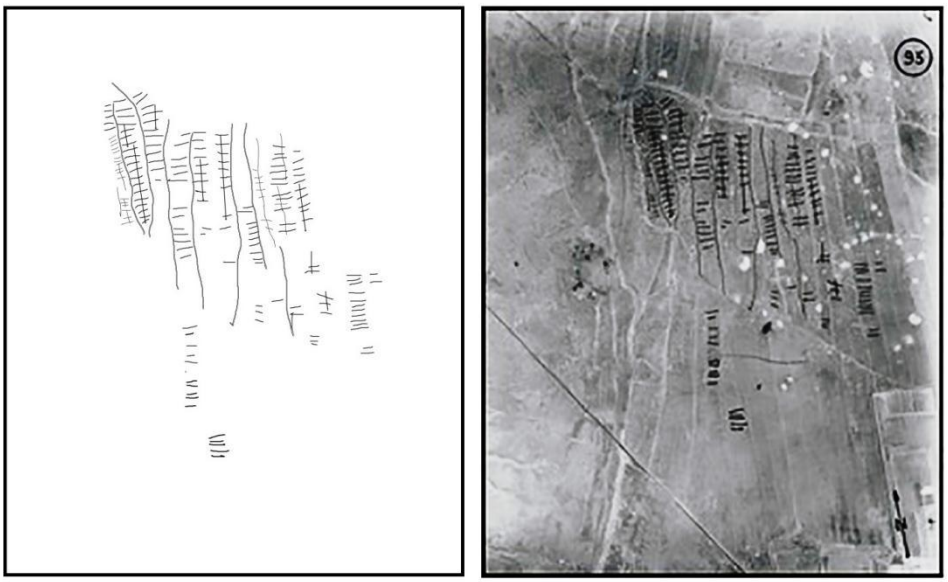
قد تكون القهرة من المراكز القديمة التي ترجع إلى الفترة الليبية[22]، وقد تدل أيضا المنشآت الجنائزية العديدة المنتشرة على أعلى القمم المحيطة بها على استيطان مبكر للمنطقة. وتمثلت هذه القبور في العديد من الجثوات بالجهة الشمالية الشرقية للموقع. كانت "القهرة" قديما تحتل موقعا جعل لها مكانة عسكرية هامة؛ فهي على الطريق الرابط بين الحضنة والصحراء عبر منخفض واد الشعير، بين مرتفعات أولاد نايل ومرتفعات الزاب[23].

اعتبرت القهرة من المدن العامرة منذ بداية القرن الثالث وحتى في نهاية الرابع الميلاديين، لقد لعبت دور المعسكر الأمامي وكانت أيضا نقطة دعم للفرق المتنقلة[24]، وتشهد الكتابات التي وجدت بالموقع أن

---

[20]- سليماني، سعاد، 2015م، ص ص. 22-37.
[21]- GSELL, S., 1911, fn 48, n°01.
[22]- شنيتي، محمد البشير، 1999م، ص. 134.
[23]- CAGNAT, R., 1889, p. 393.
[24]- BARADEZ, J., 1949, p. 139, note 4.

السفريين هم الذين احتلوها في فترة حكم الإمبراطور "ألكسندر سفيروس" (222م-235م)[25]، وكان هذا بعد فترة من تأسيس قلعة "ديميدي" (مسعد حاليا) في سنة 198م لأجل أن تكون محطة أساسية على طريق مسعد؛ إذ لعبت دور القاعدة الممونة[26] بحكمها مركزا زراعيا هاما آنذاك وقد تشهد آثارها على ذلك؛ إذ عثر على مخازن هامة بداخلها بقايا من الشعير المحروق[27] وبيّنت الصورة الجوية التي التقطها الباحث "براديز" آثارا قديمة لتقسيم الأراضي (**الصورة 04**).

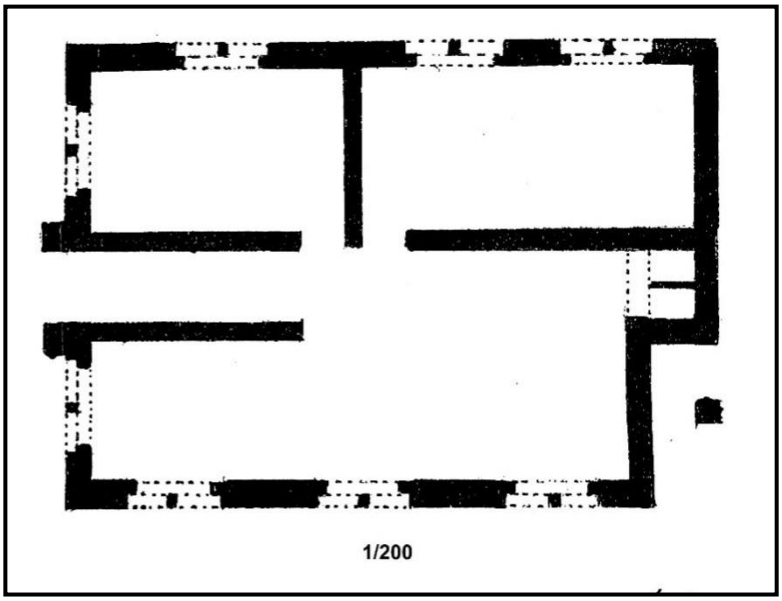


الصورة 04: تمثل تقسيمات ترابية قديمة بمنطقة القهرة. عن: أرشيف براديز.

تعزز إقليم القهرة قديما بمنشآت مائية هامة ومتنوعة مثل السدود والخزانات والقنوات الناقلة ليس فقط من أجل السقاية، بلهناك قناة تأتي بالماء العذب من عين ميزرزو على بعد حوالي 10كم شمال غرب القهرة من أجل الشرب[28].

إضافة إلى ذلك، نشير أن "لاسال"[29] (Lasalle) أرفق في تقريره حول القهرة، الذي نشر سنة 1889م ملحقا به رسومات توضيحية وأشكال ومخططات مختلفة محفوظ حاليا عند مصلحة الأرشيف الموجودة بحصن 23، ومن بين ما جاء بالملحق نذكر مخططا يحمل عنوان بيت صانع الفخار (maison du potier)، ولعل هذا يدل على أهمية هذا الصانع وحرفته بالقهرة (**الصورة 05**).

25- CARCOPINO, J., 1924, p. 319, note 1.
26- CARCOPINO, J., 1925, p. 55.
27- CARCOPINO, J., 1925, p. 55, note 2.
28- GSELL, S., 1902, p. 96.
29- CAGNAT, R., 1889, pp. 393-395.



الصورة 05: بيت صانع الفخار. عن: مصلحة الأرشيف بحصن 23.

5. مراكز الدهاهنة:

تميزت المراكز الفلاحية الموجودة بالدهاهنة عن باقي المواقع الأخرى باحتوائها على ضيعات فاخرة، حيث عثر بها على بقايا لوحات فسيفسائية، نذكر أهمها تلك الخاصة بمشهد صيد الخنزير البري التي اكتشفت مؤخرا بموقع سيدي يحي وتمثل مشهد لصيد الخنزير البري[30].

عززت منطقة الدهاهنة بالعديد من التحصينات التي قد تكون ضمن التحصينات الجديدة التي أقامها الإمبراطور "سيفروس ألكسندر" بعد عودة الأمن إلى إفريقيا عام 240م، وكذلك هو الأمر في الخربة الزرقة وغيرها، حيث أجريت التدعيمات والترميمات على الحصون، ولم تستثن هذه العملية المنازل والمنشآت الزراعية[31]، وقد يكون ذلك في إطار السياسة المتبعة من طرف أصحاب الضيعات بعد عودة الفيلق الثالث أغسطس عام 253م، حيث تم في هذه الفترة تعويض العديد من الضيعات التي كانت مفتوحة في القرن الثاني الميلادي بضيعات محصنة، وهي التي ظهرت بكثرة في تونس والطرابلسية تحت اسم القصور، وبالتالي ظهور سياسة الدفاع الذاتي[32]، والنموذج



الصورة 06: غطاء زير ؟ (خربة امبارك)

[30]- سليماني، سعاد، 2013م-2014م.
[31]- CARCOPINO, J., 1918, p. 20.
[32]- EUZENAT, M., 1990, p. 580.

الملاحظ عندنا ربما ينطبق على موقعي لغرابة وذراع بوخالفة[33] بالدهاهنة.

ونضيف كذلك أن هذه المناطق احتوت أماكن مخصصة للتخزين بداخل الفضاءات السكنية، فقد عثر بإحدى ضيعاتها على شبه غطاء من الآجر لزير كبير، دائري الشكل متوسط قطره 0.80م وسمكه 0.03م، يحمل زخارف ورموز للصليب وأخرى على شكل سنبلة قد تكون لها علاقة بالخصوبة، وكذا كتابة لاتينية ترجع من دون شك إلى الفترة المسيحية[34] (**الصورة 06**).

II. أهم المنشآت الريفية:

1. منشآت التخزين:

وجدنا بالقرب من بعض المواقع بالجهة الشمالية لشط الحضنة عددا من المطامير التي تحتل تلالا مرتفعة، غير أننا لم نستطع فهم دور تلك المباني غير البعيدة منها؛ فهل هي مجرد مراكز لحراسة مخزون الحبوب الموجود بداخل المطامير؟ أم أنها منشآت سكنية؟ تبقى هذه التساؤلات مطروحة، ذلك لأن المادة الأثرية المكتشفة بها، ولاسيما الفخار منها، تبدو قليلة جدا ولم تفدنا في تقديم قراءة قريبة لها.

ومن بين المواقع التي وجدنا بها هذه المطامير، نذكر موقع المطامير على بعد 1.3 كلم غرب دشرة "البريكات" الواقعة على بعد حوالي 5.5كم غرب موقع "الرشانة" التابع لبلدية "المطارفة" شرق المسيلة، حيث وجدنا به 07 مطامير مفتوحة بالقرب من أساسات منشأة سكنية.

ويمكن أن نضيف إليها مجموعة المطامير الموجودة بمقبرة الأشياخ بالمسيلة، وإن لم تكن لها وظيفة أخرى، غير أنها تبدو عميقة جدا وتأخذ اتجاها جانبيا، وهذا النوع من المطامير موجود في بعض المواقع التي تحوي غرفا سفلية تتصل فيما بينها.

2. المنشآت التحويلية:

أ. معاصر الزيتون:

عثرنا على العديد من العناصر المعمارية الخاصة بمعاصر الزيتون، ولاسيما مضادات الثقل وحجارة الرسو، ووجدناها بأحجام وأنواع مختلفة، منها المنحوتة ومنها في الأغلب غير منحوتة، ولا يكاد أي موقع يخلو منها؛ ولعل هذا يدفعنا إلى النظر إلى هذه الرقعة الجغرافية ببيئة مغايرة لما هي عليه الآن، فكيف كانت في الفترات القديمة ؟

ونشير أن الكم الذي عثرنا عليه من بقايا مضادات الثقل وحجارة الرسوب، في مختلف المواقع يستدعي لوحده دراسة تنميطية في المستقبل.

---

[33]- سليماني، سعاد، 2013م-2014م، ص ص. 124-140، 168-179.

[34]- SLIMANI, S. ; MEHENTEL, D., (article en cours).

إن وجود معاصر الزيت أصبح حتميا بعدد من المناطق المدروسة، وعليه فالزيتنة لها مكانتها هنا، ولا شك أنها ساهمت هي الأخرى في اقتصاد هذه البلاد قديما؛ وكان الباحث "جون ديسبوا"[35] قد رأى بقايا محلات لبيع الزيت كانت ما تزال ظاهرة بالقرب من زابي.

ب. مطاحن الحبوب:

من البديهي، أن نجد في منطقة معروفة منذ القدم بزراعة الحبوب، بقايا عناصر الطحن وهي معروفة منذ القدم بخصوبتها وغزارة ونوعية منتجاتها، وهنا نشير فقط إلى كثرتها في كل المواقع، فمنها الكبيرة الحجم وأخرى صغيرة تمثلت في الرحى اليدوية، فوجدنا العديد من هذه الأخيرة على سبيل المثال بموقع "تاتلتي"[36] شمال غرب المسيلة، وعددنا منها أربعة عشر رحى كاملة، ومنها استنتجنا أربعة أنماط مختلفة نرجح أنها جلبت من مناطق مغايرة أو ربما أحضرها الجنود مع عتادهم.

3. الصناعات الحرفية:

أ. الفخار والأفران:

يبدو أن الأفران وربما ورشات الفخار قد احتلت حيزا هاما بمنطقة الحضنة، فمعظم المواقع المدروسة أظهرت لنا بقايا أفران قد تكون بأنواع مختلفة، واستطعنا معرفة أن هناك على الأقل نوعان منها، فمنها ما احتوى على جزء سفلي مبني بالحجارة والجير مثلما وجدناه في كدية "الأثود" وموقع سيدي عطية شرق بلدية المسيلة، أما الباقي فيبدو في معظمه على شكل حفر دائرية الشكل، ولاحظنا هذا النوع في منطقة "مقرة" بخربة مالك[37]، كما ينتشر بكثرة في الكدية الحمرة بزابي، غير أن تحديد نمط المبنى وتقنيته بشكل نهائي يستدعي عملية التنقيب مستقبلا.

إضافة إلى عجينة الفخار المنتشرة وبقايا الرماد والحرق، وجدنا حول هذه الأفران العديد من البقايا الفخارية المختلفة الأنواع والأحجام، مثل بقايا كسور الجرار وبقايا القرميد، ومنها ما لم يدخل إلى الفرن بعد –بقي في مرحلة التجفيف[38]– وكذلك ما لم يحرق بشكل جيد.

ونشير هنا أننا لم نتحصل على رخصة لجمع الفخار، ولهذا فإن دراستنا له لم ترد بشكل منهجي يمكننا من إعطاء نسب تبين كثافة الاستيطان بمختلف المواقع، لكن هذا لا يمنعنا من إعطاء فكرة عن الكثافة من خلال ملاحظتنا لانتشاره في المواقع.

فجل أنواع الفخار بالحضنة يتكرر في كل المواقع وكأنه من نفس الورشة، ويكثر منه عامة النوع الشعبي والسجيلي المحلي لاسيما الخاص بالاستعمال المطبخي، وننوه هنا أنها قليلة جدا هي أنواع السجيلي ذو العجينة الرقيقة الحمراء، في حين كثيرة هي تلك التي تحمل رموزا دينية خاصة رمز

---

[35]- DESPOIS, J. 1953, p. 355.

[36]- خربوش، حنان؛ سليماني، سعاد، (في طور الإنجاز).

[37]- خربوش، حنان؛ سليماني، سعاد، 2018م، ص. 18.

[38]- SLIMANI, S.; KHERBOUCHE, H., 2018, p. 197.

الصليب، وهناك أنواع أخرى تحمل زخارف نباتية متنوعة، ومنها ما جاء مطلي بألوان مختلفة ومتباينة بالأسود والبرتقالي والبني والأحمر.

كما عثرنا في بعض المواقع على فخار ببريق معدني أخضر وأصفر اللون، يرجع إلى الفترة الإسلامية لاسيما القرنين التاسع والعاشر، وهذا ما يسوقنا للجزم باستمرارية استغلال المواقع حتى بعد الفتوحات الإسلامية.

ب. الزجاج:

عثرنا في العديد من المواقع على بقايا الزجاج، غير أنه كالعادة كان في حالات سيئة، إلا أنه يحمل لنا مهارات صنعه تارة ويعطينا فكرة عن أشكاله ووظائفه، فمعظم بقاياه هي أواني صغيرة الحجم تستغل في طقوس دينة، كما أن أغلبيته تعود للفترة المسيحية وتمتد حتى القرن السادس[39]، إضافة إلى ذلك لاحظنا وجود بقايا من عجينة الزجاج بكثرة في موقعي "رمادة الأثود" و"كدية سيدي عطية"، فهل احتوت هذه المواقع على ورشات لصناعة الزجاج؟ أم أنها ورشات لتشكيله فقط؛ إذ من معروف إلى حد الساعة أن هناك نوعين من ورشات صناعة الزجاج في العالم القديم، ورشات أولية ينتج فيها الزجاج، إما على شكل كتل أو صفائح ويتم تقطيعها وتصديرها إلى ورشات ثانوية في مختلف أنحاء العالم، حتى يعاد صهرها وتشكيل الأواني الزجاجية منها. كما أنّ انتشار هذا النوع من الورشات الثانوية يعود إلى عدم وفرة المواد الفلزية الأولية اللازمة لصناعة الزجاج في كل أقطار العالم[40].

III. السياسة الاقتصادية ببلاد الحضنة:

لا شك أن بلاد الحضنة تمتعت بمكانة اقتصادية هامة منذ الفترات المبكرة، إذ عرف أنها كانت تزود السوق الكبيرة لمستعمرة سطيف بالحبوب[41]، ولعل ذلك كان يتم عبر العديد من الطرق المهيأة لهذا الغرض. واستمرت حتى الفترات المتأخرة، وما ذكره "بروكوبيوس" حول البيزنطيين الذين كانوا يسطون على المحاصيل الزراعية بالأوراس كان شهادة على الأهمية الاقتصادية والمكانة الاستراتيجية التي تمتعت وحظيت بها بلاد الحضنة[42].

ولعل كل هذا كان يخضع لمؤسسات مختلفة، إدارية وأخرى تشريعية تسهر على وضع قوانين صارمة وأخرى تؤمن تطبيقها في ظل ما تطلق عليه الإدارة الرومانية صبغة التمرد المستمر للسكان المحليين عبر كل مراحل الاستيطان الأجنبي بالحضنة.

أما الأولويات التي نلمسها في استيطان واستغلال أراضي الحضنة نخص بالذكر ما يلي:

39- SLIMANI, S.; KHERBOUCHE, H., 2018, p. 203.
40- FONTAINE, S. D.; FOY, D., 2007, p. 235.
41- MORISSON, C., 1980, p. 165.
42- JANON, M., 1980, p. 348.

1. الاستغلال الروماني للأراضي الزراعية:

يربط الباحث سلامة وغيره من الباحثين سياسة التوسع السفيرية نحو المناطق الجنوبية مع تثمين الاقتصاد وتعزيزه، ولهذا شيدت "الأوبيدات" لتلعب من جهة دورا عسكريا تأمينيا ومن جهة أخرى لتستغل الأراضي الزراعية المحيطة بها[43].

ولذلك رأى "براديز" أنه لا يجب فصل دراسة المنظومة الدفاعية بالجنوب –والمتمثلة في الخندق– عن دراسة المنطقة الزراعية لخط الليمس، كما أكد أن تأمينها وحراستها يكون على يد أهلها[44]، ولعل هذا ما نستقرئه من نص "زيرق"، لما قام الإمبراطور "سبتيموس سيفيريوس" فى جنوب شط الحضنة بتعيين أو تخصيص أراضي ونقاط ماء ورعي لمجموعة من المستفدين[45].

ومن جهة أخرى، كان الإمبراطور "سفيروس ألكسندر" يقسم الأراضي المسلوبة على جنوده مع شرط وحيد يتمثل في انتقالها إلى ورثتهم المجندين في الخدمة العسكرية، وكان يتولى تدبير العتاد الفلاحي الذي يحتاجونه كالحيوانات والعبيد[46] وغيرها من الوسائل الأخرى؛ فوفر المال والوسائل الضرورية لمسيريه من أجل النهوض بهذه الممتلكات واستغلالها استغلالا إيجابيا وليتحقق بذلك تعزيز اقتصاد البلاد من دون شك[47].

2. تسيير الأراضي والمراكز الفلاحية:

لا شك في أن النظام الذي خضعت له المراكز الفلاحية والممتلكات الخاصة بالزراعة أو بالرعي في الحضنة، كانت وراءه من دون شك، هيئة إدارية تسير وتسهر على اقتصاد ريفي محكم[48].

وقد نكون هنا في نفس وضعية الاستغلال الأولى لأراضي إفريقيا، بمعنى تلك التي كانت تمنح لقدماء الجيش، فهذه الأرض تابعة للحاكم وصاحب النفوذ ويسيرها أعوانه أو أقاربه.

كيف كانت تسير الأراضي التي كانت تمنح للمعمرين؟ ومن كان يدير شؤون المراكز الفلاحية التابعة لها؟ ومن هم أصحابها ولمن هي تابعة؟ ومن يتكلف بالتسويق والشؤون الأخرى كالتأمين والعمال ..إلخ؟

إن النص الوحيد الذي له صلة بهذا الأمر والذي اكتشف بالحضنة بالقرب من القهرة، لا يعطي التوضيحات التي نريدها حول هيئة القائمين بالأعمال Condoctores بكل المراكز الزراعية والضيعات الموجودة بالحضنة؛ فهذه البلاد تعد من المناطق الهامة من حيث غزارة المحصول وخصوبة أراضيها؛ فالنص يشير إلى اسم المسير العام لهذا المركز، كما يذكر أن الأراضي استغلت من طرف المعمرين

---

[43]- SALAMA, P., 1955, pp. 339-340, note 50.
[44]- BARADEZ, J., 1949, p. 207.
[45]- LASSERE, J. M., 1977, p. 270.

[46]- CARCOPINO, J., 1918, pp. 18-19.
[47]- Ibid.
[48]- CARCOPINO, J., 1922, p. 29.

الذين كانوا يسهرون على صيانة منشآت الليمس[49]، وأن تلك الأراضي كانت ضمن ممتلكات الإمبراطورية.

3. الضرائب:

في غياب سجلات الضرائب التي هدمت من طرف الملك الوندالي "جنسريق" عند بداية حكمه[50]، نتساءل هل كان هناك حق للضريبة ومن كان المكلف بجمعها؟ وما هي معاييرها فهل كانت مالا أم نسبة من البضاعة؟ وقد يصعب إيجاد إجابات عن ذلك ما دامت النصوص الأثرية غائبة، إلا إذا أردنا مقارنتها مع السياسة المتبعة في المدن الرومانية الأخرى.

فمن خلال النقيشتين المكتشفتين بـ"عين الجمالا" Ain Djemala وبدوقة Thugga في تونس، يتضح لنا أن الأراضي الرعوية التابعة للأمبراطورية Imperial Saltus، إضافة إلى الأراضي سواء غير الخاضعة للنظام الكنتوري أو تلك المدرجة ضمن الكنترة، فكلها كانت تستغل عن طريق الإيجار من طرف مزارعين صغار، يعرفون بمعمري الإمبراطور coloni d(omini) n(ostri)[51].

كما أن نسبة الرسوم الخاصة بالتأجير كانت تأخذ من كل "سالتوس" عن طريق الكنترة: أي على مساحة 50 هكتار تقريبا[52].

غير أنه لوحظت تجاوزات من طرف "الكندوكتوريس"، وهذا ما بينته الشكوى التي قدمها مثلا مستغلو "سالتوس بورونيتانوس" Saltus Burunitanus ضد "الكوندوكتوريس" Allus Maximus، إلى الإمبراطور "كومودوس" Commodus بين سنة 180م و183م[53].

وهناك قانون آخر خاص يحدد حقوق "الكوندكتوريس" وهو المتعلق بـ "l'ara legis Hadrianae" والذي جاء في نص "عين واسل" بتونس، ويرجع إلى بدايات القرن الثالث الميلادي[54].

إذن نلاحظ العديد من القوانين الخاصة بهذا الاستغلال وكذا الهيئة المشرفة عليه، وفي الفترة المتأخرة نذكر دستور أو وثيقة "فالونتنيانوس" Valentinien و"فالنس" Valens الموجه سنة 370م إلى حكام إفريقيا، وهي وثيقة تحدد الطرق التي يجب إتباعها في النزاعات القائمة في هذا المجال بين القائمين بالأعمال والمستأجرين[55].

ومن جهة أخرى يمكن تأجير جملة واحدة قطع الأراضي Parcellaire[56]، وهنا نذكر كذلك التقنين الذي خصص لتأجير الأراضي المكنترة التابعة للدولة، وهو التقنين الذي ورد في نص "عين جمالة" غير البعيدة

49- LASSERE, J. M., 1977, p. 199.
50- POULLE, M.A., 1863, p. 157.
51- CARCOPINO, J., 1922, p. 13, note 2, 3.
52- Ibid., p. 16.
53- Ibid., p. 19, note 4.
54- Ibid., note 5.
55- Ibid., note 7.
56- Ibid., p. 16.

عن دوقة والتي ترجع كذلك إلى عهد "هدريانوس"[57]، وهذا القانون الذي أعيد نصه حرفيا في عهد الحاكم "سبتيموس سفيريوس" سنوات قبل 209م، على نص "عين واصل" Ain-Ouassel بتونس[58].

قائمة البيبليوغرافيا:

1- خربوش، حنان ؛ سليماني، سعاد، "المواقع الأثرية المنتشرة بين بلديتي ونوغة وبني يلمان"، في طور الإنجاز.

2- سليماني، سعاد، 2013م-2014م، دراسة تاريخية وأثرية للمعالم القديمة الموجودة ببلاد الحضنة، رسالة دكتوراه غير منشورة، معهد الاثار، جامعة الجزائر02.

3- سليماني، سعاد، 2015م، "معاينة جديدة لموقع القهرة بنوميديا الشرقية، معطيات جديدة"، مجلة عصور، 14، 01، ص ص. 22-37.

4- سليماني، سعاد؛ خربوش، حنان، 2018م، "ملفات أثرية بإقليم مدينة مقرة: دراسة لموقعي خربة مالك وهنشير الرمادة"، في مجلة دراسات، 9، ص ص. 09-34.

5- سليماني، سعاد؛ خربوش، حنان، 2021م، "محطات أثرية شمال-شرق شط الحضنة بإقليم المسيلة (الجزائر)"، في دورية كان التاريخية، 51، ص ص. 14 -22.

6- شنيتي، محمد البشير، 1999م، الجزائر في ظل الاحتلال الروماني؛ بحث في منظومة التحكم العسكري (الليمس الموريطاني) ومقاومة المور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ج1.

7- BARADEZ, J., 1949, Fossatum Africae, recherches aériennes sur l'organisation des confins sahariens à l'époque romaine, Paris.

8- CAGNAT, R., 1889, «Ruines de kherbet El-Gahra (Algérie)», in Bulletin Archéologique du Comité des Travaux Historiques et Scientifique, pp. 393-395.

9- CAGNAT, R., 1901, «Les levés exécutés par les brigades topographiques, Algérie et de Tunisie», in BCTH, pp. CXXXVIII-CLV.

10- CARCOPINO, J., 1918, «Les Castella de la plaine de Sétif», in Revue Africaine, 59, pp. 01- 22.

11- CARCOPINO, J., 1922, «Fermier général ou sociétés publicaines?», In Revue des Études Anciennes, 24, 1, pp. 13-36.

[57]- Ibid., p. 23.

[58]- Ibid., p. 24.

12- CARCOPINO, J., 1924, «Sur l'extension de la domination romaine dans le Sahara de Numidie", in Revue Archéologique, 20, pp. 316–325.
13- CARCOPINO, J., 1925, «Le Limes de Numidie et sa garde Syrienne», in Syria, 6, 2, pp. 30-57.
14- CARPENTIER, Lucie, 2015, Un axe de recherche pour l'origine des temples à plan centré en Gaule romaine :une nouvelle analyse fonctionnelle des espaces, https://annalesdejanua.edel.univ-poitiers.fr/index.php?id=902
15- DAREMBERG, C. V. ; SAGLIO, E., Dictionnaire des Antiquités Grecques et Romaines.= https://dagr.univ-tlse2.fr/consulter/1475/FANUM/page_31
16- DESPOIS, J., 1953, Le Hodna, Paris.
17- EUZENAT, M., 1990, «La frontière romaine d'Afrique», in Comptes-rendus des séances de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres, 134, 2, pp. 565-580.
18- FAUDUET, I., 2010, Les Temples de tradition celtique en Gaule romaine, Paris.
19- FONTAINE, S. D.; FOY, D., 2007, «L'épave *Ouest-Embiez* 1, Var : le commerce maritime du verre brut et manufacturé en Méditerranée occidentale dans l'Antiquité», In Revue archéologique de Narbonnaise, 40, pp. 235-265.
20- GRANGE, R., 1902, «Monographie de Tobna (Thubunae)», in RSAC, 35, pp. 01-97.
21- GSELL, S., 1902, Enquête administrative sur les travaux hydrauliques anciens en Algérie, Paris.
22- GSELL, S., 1911, Atlas Archeologique de l'Algerie, Alger; Paris.
23- JANON, M., 1980, «L'Aurès au VIe siècle. Note sur le récit de Procope», in Ant.Afr., 15, pp. 347-350
24- LASSERE, J.-M., 1977, Ubique Populus, peuplement et mouvements de population dans l'Afrique romaine, de la chute de Carthage à la fin de la dynastie des Sévères 146 a.C.-235 p.c., Paris.
25- MORISSON, C., 1980, «La Trouvaille d'AIN- KELBA et la circulation des Minimi en Afrique au VI°siècle», in Mélanges de Numismatique, d'Archéologie et d'Histoire offerts à Jean Lafaurie, pp. 239-248.
26- PAYEN, ..., 1893, «Colonisation du Hodna», in Recueil de la Société Archéologique de Constantine, 28, pp. 136-155.
27- PAYEN,..., 1864, « Les travaux hydrauliques anciens, dont il existe encore de nombreux vestiges dans la partie du Hodna», in Recueil de la Société Archéologique de Constantine, pp. 1-14.
28- POULLE, M.A., 1863, «A travers la Mauritanie Sétifienne - Première partie:Histoire», in Recueil de la Société Archéologique de Constantine, 7, pp. 1-159.
29- SALAMA, P., 1955, «Nouveaux témoignages de l'oeuvre des Sévères dans la Maurétanie Césarienne», in Libyca, 3, pp. 342-351.
30- SLIMANI, S. ; MEHENTEL, D., «Inscription sur un disque en poterie découvert à Dehahna», (article en cours).
31- SLIMANI, S.; KHERBOUCHE, H., 2018, «Les formes d'occupation antique dans le Hodna : état des lieux», in Stéphanie Guédon, La frontière méridionale du Maghreb Approches croisées (Antiquité-Moyen Âge), 1, Bordeaux, pp. 193-206.
32- TOULOTTE, M., 1894, Géographie de l'Afrique Chrétienne, II. La Numidie, Paris.